سورة الحجر

الجزء ١٤ الحزب ٢٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور. وقوله تعالى ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾، إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا فى الدار الدنيا مع المسلمين، ونقل السدى فى تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة، أن الكفار لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين. وقيل: إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنًا. وقيل: هذا إخبار عن يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل، عن أبى الزعراء، عن عبد الله فى قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ قال: هذا فى الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار.

وقال ابن جرير [١]: حدثنى المثنى، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا القاسم، حدثنا ابن أبى فروة العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار، قال: فيقول لهم المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فى الدنيا، قال: فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم، فذلك حين يقول: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾.

وقال عبد الرزاق [٢]: أخبرنا الثورى عن حماد عن إبراهيم، وعن خصيف عن مجاهد قالا: يقول أهل النار للموحدين: ما أغنى عنكم إيمانكم؟ فإذا قالوا ذلك، قال الله: أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، قال: فعند ذلك قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾، وهكذا روى عن الضحاك وقتادة وأبى العالية وغيرهم، وقد ورد فى ذلك أحاديث مرفوعة، فقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى [٣]: حدثنا محمد بن العباس هو الأخرم، حدثنا محمد بن منصور الطوسى، حدثنا صالح بن إسحاق الجهبذ دلنى عليه يحيى بن معين، حدثنا معرف بن واصل عن يعقوب بن نباتة عن عبد الرحمن الأغر، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناسًا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معنا فى النار؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم فى نهر الحياة، فيبرءون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين»، فقال رجل: يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» نعم أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا، ثم قال الطبرانى: تفرد به الجهبذ.

---

(١) الطبري في التفسير (١٤/ ٣).
(٢) التفسير لعبد الرزاق (٢/ ٣٤٥).
(٣) في الأوسط (٧/ ٢٠٩)، برقم (٧٢٩٣).

(الحديث الثاني) : وقال الطبراني [١] أيضًا: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبو الشعثاء علي بن حسن الواسطي، حدثنا خالد بن نافع الأشعرى عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه، عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا فى النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان فى النار من أهل القبلة فأخرجوا. فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا: ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا - قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾» ورواه ابن أبى حاتم من حديث خالد بن نافع به، وزاد فيه: بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستعاذة.

(الحديث الثالث) : قال الطبراني [٢] أيضًا: حدثنا موسى بن هارون، حدثنا إسحاق بن راهويه، قال: قلت لأبى أسامة أحدثكم أبو روق واسمه عطية بن الحارث حدثنى صالح بن أبى طريف قال: سألت أبا سعيد الخدرى فقلت له: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول فى هذه الآية ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾؟ قال: نعم سمعته يقول: «يخرج الله ناسًا من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نقمته منهم» وقال: «لما أدخلهم الله النار مع المشركين، قال لهم المشركون: تزعمون أنكم أولياء الله فى الدنيا فما بالكم معنا فى النار، فإذا سمع الله ذلك منهم أذن فى الشفاعة لهم، فتشفع لهم الملائكة والنبيون، ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم - قال - فذلك قول الله ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ فيسمون فى الجنة الجهنميين من أجل سواد فى وجوههم، فيقولون: يا رب أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون فى نهر فى الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم» فأقرّ به أبو أسامة وقال نعم.

(الحديث الرابع) : وقال ابن أبى حاتم [٣]، حدثنا علي بن الحسين، حدثنا العباس بن الوليد النرسى، حدثنا مسكين أبو فاطمة، حدثنى اليمان بن يزيد عن محمد بن حمير عن محمد بن على، عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهرًا ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثًا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن فى النار من أهل الأديان والأوثان لمن فى النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم فى النار سواء، فيغضب الله لهم غضبًا لم يغضبه لشىء فيما مضى، فيخرجهم إلى عين فى الجنة وهو قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾».

وقوله: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ تهديد شديد لهم ووعيد أكيد، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ

---

(١) أخرجه في المعجم الكبير كما في المجمع (٧/ ٤٨)، وقال: فيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود: متروك.
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٢) إلى الطبراني.
(٣) وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/ ١٥٦).

مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] . وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦] ، ولهذا قال: ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ أى عن التوبة والإنابة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أى عاقبة أمرهم.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾

يقول تعالى إنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتها ولا يتقدمون عن مدتهم، وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الشرك والعناد والإلحاد الذى يستحقون به الهلاك.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾

يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم وعنادهم فى قولهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ أى الذى يدعى ذلك ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أى فى دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا ﴿لَّوْ مَا﴾ أى هلا ﴿تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ أى يشهدون لك بصحة ما جئت به إن كنت من الصادقين، كما قال فرعون ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣] ، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢١-٢٢] ، وكذا قال فى هذه الآية: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ .

وقال مجاهد فى قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ بالرسالة والعذاب، ثم قرر تعالى أنه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل، ومنهم من أعاد الضمير فى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ على النبى ﷺ، كقوله ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

يقول تعالى مسليًا لرسوله ﷺ فى تكذيب من كذبه من كفار قريش: إنه أرسل من قبله فى الأمم الماضية وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزءوا به، ثم أخبر أنه سلك التكذيب فى قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى قال أنس والحسن البصرى ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢﴾ يعنى الشرك. وقوله ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أى قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار، وكيف أنجى الله الأنبياء وأتباعهم فى الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابًا من السماء فجعلوا

يصعدون فيه لما صدقوا بذلك، بل قالوا: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ قال مجاهد وابن كثير والضحاك: سدت أبصارنا.

وقال قتادة عن ابن عباس: أخذت أبصارنا. وقال العوفى عن ابن عباس: شبه علينا وإنما سحرنا.

وقال الكلبى: عميت أبصارنا. وقال ابن زيد: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾، السكران الذى لا يعقل.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾

يذكر تعالى خلقه السماء فى ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه، ولهذا قال مجاهد وقتادة: البروج ههنا هى الكواكب.

(قُلْتُ): وهذا كقوله تبارك وتعالى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]. ومنهم من قال: البروج هى منازل الشمس والقمر. وقال عطية العوفى: البروج ههنا هى قصور الحرس فيما. وجعل الشهب حرسًا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد وتقدم منهم لاسترق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التى سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذى هو دونه فيأخذها الآخر ويأتى بها إلى وليه، كما جاء مصرحًا به فى الصحيح.

كما قال البخارى [1] فى تفسير هذه الآية: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة، عن أبى هريرة يبلغ به النبى ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان» قال على وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذى قال الحق وهو العلى الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمى بها إلى الذى يليه إلى الذى هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض، وربما قال سفيان: حتى تنتهى إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فوجدناه حقًّا للكلمة التى سمعت من السماء، ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسى، والأودية والأراضى والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة.

وقال ابن عباس ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أى معلوم، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عتيبة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة، ومنهم من يقول: مقدر بقدر. وقال ابن زيد: من كل شىء يوزن ويقدر بقدر، وقال ابن زيد: ما يزنه أهل الأسواق. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ

(١) البخاري برقم (٤٧٠١).

فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ يذكر تعالى أنه صرفهم فى الأرض فى صنوف الأسباب والمعايش وهى جمع معيشة. وقوله: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ قال مجاهد: هى الدواب والأنعام.

وقال ابن جرير: هم العبيد والإماء والدواب والأنعام، والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش، وبما سخر لهم من الدواب التى يركبونها، والأنعام التى يأكلونها، والعبيد والإماء التى يستخدمونها، ورزقهم على خالقهم لا عليهم، فلهم هم المنفعة، والرزق على الله تعالى.

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

يخبر تعالى أنه مالك كل شىء وأن كل شىء سهل عليه يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ كما يشاء وكما يريد، ولما له فى ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة قال يزيد بن أبى زياد عن أبى جحيفة عن عبد الله: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يقسمه حيث شاء عامًا ههنا وعامًا ههنا، ثم قرأ ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ الآية، رواه ابن جرير، وقال أيضًا [1]: حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، حدثنا هشيم، أخبرنا إسماعيل بن سالم عن الحكم بن عتيبة فى قوله: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ قال: ما عام بأكثر مطرًا من عام ولا أقل، ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر، قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس، وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت.

وقال البزار [2]: حدثنا داود هو ابن بكر التسترى، حدثنا حيان بن أغلب بن تميم، حدثنى أبى عن هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خزائن الله الكلام، فإذا أراد شيئًا قال له كن فكان» ثم قال: لا يرويه إلا أغلب ولم يكن بالقوى، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين، ولم يروه عنه إلا ابنه. وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ أى تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها، وهذه الرياح ذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم، فإنه أفردها ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج، لأنه لا يكون إلا من شيئين فصاعدًا.

وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود فى قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ قال: لواقح ترسل الريح فتحمل الماء من السماء، ثم تمرى السحاب حتى تذر كما تدر اللقحة، وكذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعى وقتادة. وقال الضحاك: يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلىء ماء.

---

(١) الطبري في التفسير (١٤/ ١٩).

(٢) ضعيف: وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ١٥٥)، وانظر ضعيف الجامع.

وقال عبيد بن عمير الليثى: يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قمًّا، ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر، ثم تلا ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾.

وقد روى ابن جرير [١] من حديث عبيس بن ميمون عن أبى المهزم عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «الريح الجنوب من الجنة، وهى الريح اللواقح وهى التى ذكر الله فى كتابه، وفيها منافع للناس» وهذا إسناد ضعيف، وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى [٢] فى مسنده. حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرنى يزيد بن جعدية الليثى أنه سمع عبد الرحمن بن مخراق يحدث عن أبى ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق فى الجنة ريحًا بعد الريح بسبع سنين، وإن من دونها بابًا مغلقًا، وإنما يأتيكم الريح من خلل ذلك الباب، ولو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض من شىء، وهى عند الله الأذيب، وهى فيكم الجنوب».

وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أى أنزلناه لكم عذبًا يمكنكم أن تشربوا منه ولو نشاء جعلناه أجاجًا، كما ينبه على ذلك فى الآية الأخرى فى سورة الواقعة، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠]، وفى قوله: ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]. وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُ بِخَزِنِينَ﴾ قال سفيان الثورى: بما نعين، ويحتمل أن المراد وما أنتم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله معينًا وينابيع فى الأرض، ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به، ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبًا، وحفظه فى العيون والآبار والأنهار وغير ذلك، ليبقى لهم فى طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾ إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته، وأنه هو الذى أحيا الخلق من العدم، ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع، وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومن عليها، وإليه يرجعون، ثم قال تعالى مخبرًا عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم، : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما: المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام، والمستأخرون من هو حى ومن سيأتى إلى يوم القيامة، وروى نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبى وغيرهم، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

وقال ابن جرير [٣]: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه، عن رجل، عن مروان بن الحكم أنه قال: كان أناس يستأخرون فى الصفوف من أجل النساء، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾، وقد ورد فيه حديث غريب جدًّا، **فقال ابن جرير** [٤]: حدثنى محمد بن موسى الحرشى، حدثنا نوح بن قيس، حدثنا عمرو بن قيس، حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت تصلى خلف النبى ﷺ امرأة حسناء، قال

---

(١) الطبري في التفسير (١٤/ ٢٢). وفيه أبو المهزم وهو متروك كما في التقريب.
(٢) مسند الحميدي، برقم (١٢٩)، وأخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٣٦٤)، برقم (٦٢٨١).
(٣) مرسل: الطبري في التفسير (١٤/ ٢٦). (٤) في التفسير (١٤/ ٢٦).

ابن عباس: لا والله إن رأيت مثلها قط، وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا، يعنى لئلا يروها، وبعض يستأخرون، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾، وكذا رواه أحمد وابن أبى حاتم فى تفسيره، ورواه الترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننيهما، وابن ماجه [١] من طرق عن نوح بن قيس الحدانى، وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما، وحكى عن ابن معين تضعيفه، وأخرجه له مسلم وأهل السنن، وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، وقد رواه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك وهو النكرى أنه سمع أبا الجوزاء يقول فى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ فى الصفوف فى الصلاة ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ فالظاهر أنه من كلام أبى الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر، وقد قال الترمذى: هذا أشبه من رواية نوح بن قيس، والله أعلم، وهكذا روى ابن جرير [٢] عن محمد بن أبى معشر، عن أبيه أنه سمع عون بن عبد الله يذاكر محمد بن كعب فى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ أنها فى صفوف الصلاة، فقال محمد بن كعب: ليس هكذا ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ الميت والمقتول ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ من يخلق بعد ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ فقال عون بن عبد الله: وفقك الله وجزاك خيرًا.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس، والظاهر أنه كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[الرحمن: ١٤-١٥] وعن مجاهد أيضًا «الصلصال» المنتن، وتفسير الآية بالآية أولى وقوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أى الصلصال من حمأ، وهو الطين. والمسنون: الأملس، كما قال الشاعر:

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ـراء تمشى فى مرمر مسنون

أى أملس صقيل، ولهذا روى عن ابن عباس أنه قال: هو التراب الرطب، وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك أيضًا: أن الحمأ المسنون هو المنتن. وقيل: المراد بالمسنون ههنا المصبوب. وقوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أى من قبل الإنسان ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ قال ابن عباس: هى السموم التى تقتل، وقال بعضهم: السموم بالليل والنهار، ومنهم من يقول: السموم بالليل والحرور بالنهار. وقال أبو داود الطيالسى [٣]: حدثنا شعبة عن أبى إسحاق قال: دخلت على عمرو الأصم أعوده، فقال: ألا أحدثك حديثًا سمعته من عبد الله بن مسعود، يقول هذه السموم جزء من سبعين جزءًا من السموم التى خلق منها الجان، ثم قرأ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ وعن ابن عباس: أن الجان خلق من لهب النار، وفى رواية: من أحسن النار. وعن عمرو بن دينار: من نار الشمس. وقد ورد فى الصحيح [٤] «خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق بنو آدم مما وصف لكم». ومقصود الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارة محتده.

---

(١) صحيح: المسند (٢٧٧٩)، الترمذي (٣١٢٢)، النسائي (٨٧٠)، ابن ماجه (١٠٤٦)، وانظر صحيح الترمذي.
(٢) إسناده ضعيف: في التفسير (١٤/ ٢٣)، وفيه أبو معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن وهو ضعيف.
(٣) وأخرجه الطبري (١٤/ ٣٠).
(٤) مسلم برقم (٢٩٩٦)، من حديث عائشة.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم فى ملائكته قبل خلقه له وتشريفه إياه بأمره الملائكة بالسجود له، ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسدًا وكفرًا وعنادًا واستكبارًا وافتخارًا بالباطل، ولهذا قال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ كقوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية [الإسراء: ٦٢]، وقد روى ابن جرير [١] ههنا أثرًا غريبًا عجيبًا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما خلق الله الملائكة قال: إنى خالق بشرًا من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له قالوا: لا نفعل، فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم، ثم خلق ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك، فقالوا: لا نفعل، فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم، ثم خلق ملائكة أخرى فقال: إنى خالق بشرًا من طين، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له قالوا: لا نفعل، فأرسل عليهم نارًا فأحرقتهم، ثم خلق ملائكة أخرى فقال: لهم مثل ذلك، فقالوا: سمعنا وأطعنا، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين، وفى ثبوت هذا عنه بعد، والظاهر أنه إسرائيلى، والله أعلم.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾

يقول عمرًا لإبليس أمرًا كونيًا لا يخالف ولا يمانع بالخروج من المنزلة التى كان فيها من الملأ الأعلى، وأنه رجيم أى مرجوم، وأنه قد أتبعه لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير أنه قال: لما لعن الله إبليس، تغيرت صورته عن صورة الملائكة، ورن رنة، فكل رنة فى الدنيا إلى يوم القيامة منها، رواه ابن أبى حاتم [٢]، وأنه لما تحقق الغضب الذى لا مرد له، سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة إلى يوم القيامة، وهو يوم البعث، وأنه أجيب إلى ذلك استدراجًا له وإمهالاً، فلما تحقق النظرة قبحه الله.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

يقول تعالى مخبرًا عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ قال بعضهم: أقسم

---

(١) الطبري في التفسير (١٤/ ٣١).
(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٧٨)، برقم (١١٢٢)

بإغواء الله له. قلت ويحتمل أنه بسبب ما أغويتنى وأضللتنى ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ أى لذرية آدم عليه السلام ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أى أحبب إليهم المعاصى وأرغبهم فيها وأزهم إليها، وأزعجهم إليها إزعاجًا ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أى كما أغويتنى وقدرت على ذلك ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ كقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى له متهددًا ومتوعدًا ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أى مرجعكم كلكم إلى، فأجازيكم بأعمالكم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. وقيل: طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى، وإليه تنتهى، قاله مجاهد والحسن وقتادة كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] وقرأ قيس بن عبادة ومحمد بن سيرين وقتادة هذا صراط علىٌّ مستقيم كقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] أى رفيع والمشهور القراءة الأولى.

وقوله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أى الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك إليهم ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ استثناء منقطع. وقد أورد ابن جرير [1] ههنا من حديث عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن موهب، حدثنا يزيد بن قسيط قال: كانت الأنبياء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم، فإذا أراد النبى أن يستنبىء ربه عن شىء خرج إلى مسجده فصلى ما كتب الله له، ثم سأل ما بدا له، فبينا نبى فى مسجده إذ جاء عدو الله - يعنى إبليس - حتى جلس بينه وبين القبلة، فقال النبى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذى تعوذ منه فهو هو. فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال: فرده، قال: فردد ذلك ثلاث مرات، فقال عدو الله: أخبرنى بأى شىء تنجو مني؟ فقال النبى: بل أخبرنى بأى شىء تغلب ابن آدم مرتين؟ فأخذ كل واحد منهما على صاحبه، فقال النبى: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، قال عدو الله: قد سمعت هذا قبل أن تولد. قال النبى: ويقول الله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وإنى والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك. قال عدو الله: صدقت بهذا تنجو منى، فقال النبى: فأخبرنى بأى شىء تغلب ابن آدم؟ قال آخذه عند الغضب وعند الهوى.

وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أى جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، كما قال عن القرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]، ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أى قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه، أجارنا الله منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر فى درك بقدر فعله. قال إسماعيل بن علية وشعبة، كلاهما عن أبى هارون الغنوى عن حطان بن عبد الله أنه قال: سمعت علي بن أبى طالب وهو يخطب قال: إن أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون - أطباقًا بعضها فوق بعض. وقال إسرائيل عن أبى إسحاق عن هبيرة بن أبى يريم، عن على رضى الله عنه قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلىء الأول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها.

وقال عكرمة: سبعة أبواب سبعة أطباق، وقال ابن جريج: سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لظى، ثم

(١) مرسل: الطبري في التفسير (١٤/ ٣٤).

الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. ورواية الضحاك عن ابن عباس نحوه: وكذا روى عن الأعمش بنحوه أيضًا، وقال قتادة: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ هى والله منازل بأعمالهم، رواهن ابن جرير، وقال جويبر عن الضحاك ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ قال: باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للصابئين، وباب للمجوس، وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب، وباب للمنافقين، وباب لأهل التوحيد، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبدًا.

وقال الترمذى [١]: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن جنيد عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سل السيف على أمتى - أو قال على أمة محمد» ثم قال: لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول. وقال ابن أبى حاتم [٢]: حدثنا أبى حدثنا عباس بن الوليد الخلال، حدثنا زيد - يعنى ابن يحيى - حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أبى نضرة عن سمرة بن جندب، عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ قال «إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه، وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه، منازل بأعمالهم، فذلك قوله: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

ربع الحزب ٢٧

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

لما ذكر تعالى حال أهل النار، عطف على ذكر أهل الجنة وأنهم فى جنات وعيون. وقوله: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أى سالمين من الآفات، مسلم عليكم ﴿آمِنِينَ﴾ من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج ولا انقطاع ولا فناء، وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ روى القاسم عن أبى أمامة قال: يدخل أهل الجنة الجنة على ما فى صدورهم فى الدنيا من الشحناء والضغائن، حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما فى صدورهم فى الدنيا من غل، ثم قرأ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ هكذا فى هذه الرواية، والقاسم بن عبد الرحمن فى روايته عن أبى أمامة ضعيف، وقد روى سعيد فى تفسيره: حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبى أمامة قال: لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما فى صدرهم من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضارى. وهذا موافق لما فى الصحيح [٣] من رواية قتادة: حدثنا أبو المتوكل الناجى أن أبا سعيد الخدرى حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار. فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم فى دخول الجنة».

وقال ابن جرير [٤]: حدثنا الحسن، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال: استأذن الأشتر على على رضى الله عنه، وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له، فلما دخل قال: إنى

(١) **ضعيف**: الترمذي برقم (٣١٢٣)، وانظر ضعيف الترمذي.
(٢) **إسناده ضعيف**: لضعف سعيد بن بشير، وهو حديث صحيح، فأخرجه مسلم، برقم (٣٣) بنحوه.
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥). (٤) الطبري في التفسير (١٤/ ٣٧).

لأراك إنما حبستنى لهذا، قال: أجل، قال: إنى لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستنى، قال: أجل إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ وقال ابن جرير [١] أيضًا: حدثنا الحسن، حدثنا أبو معاوية الضرير، حدثنا أبو مالك الأشجعى، عن أبى حبيبة مولى لطلحة قال: دخل عمران بن طلحة على على رضى الله عنه بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحب به وقال: إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال الله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

قال: ورجلان جالسان إلى ناحية البساط، فقالا: الله أعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانًا، فقال على رضى الله عنه: قومًا أبعد أرض وأسحقها، فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة؟ وذكر أبو معاوية الحديث بطوله، وروى وكيع عن أبان بن عبد الله البجلى عن نعيم بن أبى هند، عن ربعي بن حراش عن على نحوه، وقال فيه فقام رجل من همدان فقال: الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فصاح به على صيحة فظننت أن القصر قد تدهده لها، ثم قال: إذا لم نكن نحن فمن هم؟

وقال سعيد بن مسروق عن أبى طلحة، فذكره وفيه: فقال الحارث الأعور ذلك، فقام إليه على رضى الله عنه فضربه بشيء كان فى يده فى رأسه، وقال: فمن هم يا أعور إذا لم نكن نحن؟ وقال سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم قال: جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على على رضى الله عنه فحجبه طويلاً ثم أذن له فقال له: أما أهل البلاء فتجفوهم، فقال على: بفيك التراب إنى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ وكذا روى الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بنحوه. وقال سفيان بن عيينة عن إسرائيل أبى موسى سمع الحسن البصرى يقول: قال على: فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [٢] وقال كثير النواء: دخلت على أبى جعفر محمد بن على فقلت: وليى وليكم، وسلمى سلمكم، وعدوى عدوكم، وحربى حربكم، أسألك بالله أتبرأ من أبى بكر وعمر فقال: ﴿فَدَ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦] تولهما يا كثير فما أدركك فهو فى رقبتى هذه، ثم تلا هذه الآية ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ قال: أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم أجمعين، وقال الثورى عن رجل عن أبى صالح فى قوله: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ قال: هم عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين. وقوله: ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ قال مجاهد: لا ينظر بعضهم فى قفا بعض، وفيه حديث مرفوع.

قال ابن أبي حاتم [٣]: حدثنا يحيى بن عبدك القزوينى، حدثنا حسان بن حسان، حدثنا

---

(١) الطبري في التفسير (١٤/ ٣٧).

(٢) إسناده منقطع بن الحسن البصري وعلى: أخرجه الطبري في التفسير (٨/ ١٨٣).

(٣) وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٨٦)، بهذا الإسناد وقال: هذا إسناد مجهول، لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض.

إبراهيم بن بشر، حدثنا يحيى بن معين عن إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ في الله ينظر بعضهم إلى بعض. وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ يعني المشقة والأذى، كما جاء في الصحيحين [١] «أن الله أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب». وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ كما جاء في الحديث «يقال يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبدًا [٢]، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدًا». وقال الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ أي أخبر يا محمد عبادي أني ذو رحمة وذو عذاب أليم، وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية الكريمة وهي دالة على مقامي الرجاء والخوف، وذكر في سبب نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال: مر رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه يضحكون فقال «اذكروا الجنة واذكروا النار» [٣] فنزلت ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ رواه ابن أبي حاتم وهو مرسل.

وقال ابن جرير [٤]: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، أخبرنا ابن المكي، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا مصعب بن ثابت، حدثنا عاصم بن عبيد الله عن ابن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال «ألا أراكم تضحكون» ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى فقال: «إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله يقول لك لم تقنط عبادي ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾» وقال سعيد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام، ولو يعلم قدر عقابه لبخع نفسه» [٥].

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

يقول تعالى وخبرهم يا محمد عن قصة ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر، وكيف دخلو عليه ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي خائفون، وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه لهم من الضيافة، وهو العجل السمين الحنيذ ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ أي لا تخف ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] وهو إسحاق عليه السلام كما تقدم في سورة هود فـ

---

(١) البخاري برقم (٧٤٩٧)، مسلم برقم (٢٤٣٢)، من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٨٣٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٧)، الترمذي برقم (٣٢٤٦)، أحمد برقم (٨٠٥٩)، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة.
(٤) في التفسير (١٤/ ٣٩).
(٥) مرسل: في التفسير (١٤/ ٣٩).

﴿قَالَ﴾ متعجبًا من كبره وكبر زوجته ومتحققًا للوعد ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقًا وبشارة بعد بشارة ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ وقرأ بعضهم (القنطين) فأجابهم بأنه ليس يقنط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

يقول تعالى إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى، أنه شرع يسألهم عما جاءوا له، فقالوا: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط، وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من المهلكين، ولهذا قالوا: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أى الباقين المهلكين.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة فى صورة شباب حسان الوجوه، فدخلوا عليه داره قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يعنون بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذى كانوايشكون فى وقوعه بهم وحلوله بساحتهم ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ كقوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨]. وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به من نجاته وإهلاك قومه.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسرى بأهله بعد مضى جانب من الليل، وأن يكون لوط عليه السلام يمشى وراءهم ليكون أحفظ لهم، «وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشى فى الغزاة بما يكون ساقة يزجى الضعيف ويحمل المنقطع»، وقوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أى إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ كأنه كان معهم من يهديهم السبيل ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ أى تقدمنا إليه فى هذا ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أى وقت الصباح كقوله فى الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

يخبر تعالى عن مجىء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم، وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين ﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله، كما فى سياق سورة هود، وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف بذكر مجىء قومه

ومحاجته لهم، ولكن الوو لا تقتضى الترتيب ولا سيما إذا دل دليل على خلافه، فقالوا له مجيبين: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أى أو ما نهيناك أن تضيف أحدًا؟ فأرشدهم إلى نسائهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة. وقد تقدم إيضاح القول فى ذلك بما أغنى عن إعادته. هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وماذا يصبحهم من العذاب المستقر. ولهذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفى هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض.

قال عمرو بن مالك البكرى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ رواه ابن جرير [١]، وقال قتادة: ﴿لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ أى فى ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أى يلعبون، وقال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿لَعَمْرُكَ﴾ لعيشك ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال يتمادون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

يقول تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ وهى ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل فى هود بما فيه كفاية. وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أى إن آثار هذه النقم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته، كما قال مجاهد فى قوله: ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: المتفرسين. وعن ابن عباس والضحاك: للناظرين. وقال قتادة: للمعتبرين. وقال مالك عن بعض أهل المدينة ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للمتأملين. **وقال ابن أبى حاتم** [٢]: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا محمد بن كثير العبدى عن عمرو بن قيس، عن عطية عن أبى سعيد مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ النبى ﷺ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ رواه الترمذى: وابن جرير [٣] من حديث عمرو بن قيس الملائى، وقال الترمذى: لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

وقال ابن جرير [٤] **أيضًا:** حدثنى أحمد بن محمد الطوسى، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الفرات بن السائب، حدثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإن المؤمن ينظر بنور الله».

وقال ابن جرير [٥]: حدثنى أبو شرحبيل الحمصى، حدثنا سليمان بن سلمة، حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبى، حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائى، حدثنا وهب بن منبه

---

(١) الطبري في التفسير (١٤/ ٤٤).

(٢) إسناده ضعيف لضعف عطية العوفي: وأخرجه الترمذي، برقم (٣١٢٧)، وانظر ضعيف الجامع، برقم (١٢٧).

(٣) ضعيف: الترمذي (٣١٢٧)، ابن جرير (١٤/ ٤٦)، من حديث أبي سعيد الخدري. وانظر ضعيف الترمذي.

(٤) الطبري في التفسير (١٤/ ٤٦). (٥) في التفسير (١٤/ ٤٧).

عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «احذروا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله» . وقال أيضًا [١]: حدثنا عبد الأعلى بن واصل، حدثنا سعيد بن محمد الجرمى، حدثنا عبد الواحد بن واصل، حدثنا أبو بشر المزلق عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال النبى ﷺ: «إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم»، ورواه الحافظ أبو بكر البزار [٢]: حدثنا سهل بن بحر، حدثنا سعيد بن محمد الجرمى، حدثنا أبو بشر يقال له ابن المزلقى قال: وكان ثقة، عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم» .

وقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ أى وإن قرية سدوم التى أصابها ما أصابها من القلب الصورى والمعنوى والقذف بالحجارة، حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة بطريق مهيع مسالكه مستمرة إلى اليوم، كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨] وقال مجاهد والضحاك ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ قال: معلم.

وقال قتادة: بطريق واضح. وقال قتادة أيضًا: بصقع من الأرض واحد، وقال السدى: بكتاب مبين، يعنى كقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] ولكن ليس المعنى على ما قال ههنا، والله أعلم. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ اى إن الذى صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وإنجائنا لوطًا وأهله لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝﴾

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب، قال الضحاك وقتادة وغيرهما: الأيكة الشجر الملتف، وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان، فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط بعدهم فى الزمان، ومسامتين لهم فى المكان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أى طريق مبين، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره: طريق ظاهر، ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال فى نذارته إياهم ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝﴾

أصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا صالحًا نبيهم عليهم السلام، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين، وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التى أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء، وكانت تسرح فى بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، فلما عتوا وعقروها قال لهم ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] وذكر تعالى أنهم ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ۝﴾ أى من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشرًا وبطرًا وعبثًا كما هو المشاهد من صنيعهم فى بيوتهم بوادى الحجر الذى مرّ به

(١) حسن: في التفسير (١٤/ ٤٦)، وانظر السلسلة الصحيحة، برقم (١٦٩٣).
(٢) حسن: ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٨)، وقال: رواه البزار وإسناده حسن.

رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك، فقنع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: «لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم»[(١)]. وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أى وقت الصباح من اليوم الرابع ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أى ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التى ضنوا بمائها عن الناقة حتى عقروها لئلا تضيق عليهم فى المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

يقول تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ أى بالعدل ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] ثم أخبر نبيه بقيام الساعة وأنها كائنة لا محالة ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين فى أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به، كقوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩] وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: كان هذا قبل القتال، وهو كما قالا، فإن هذه مكية والقتال إنما شرع بعد الهجرة.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة فإنه الخلاق الذى لا يعجزه خلق ما شاء، وهو العليم بما تمزق من الأجساد وتفرق فى سائر أقطار الأرض، كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨١-٨٣]

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ: كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرنّ إلى الدنيا، وزينتها، وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنًا عليهم فى تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أى ألن لهم جانبك، كقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقد اختلف فى السبع المثانى ما هي؟ فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد: هى السبع الطوال، يعنون البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير، وقال سعيد: بين فيهن الفرائض والحدود والقصص والأحكام. وقال ابن عباس: بين الأمثال والخبر والعبر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٣)، مسلم (٢٩٨٠)، من حديث ابن عمر.

وقال ابن أبى حاتم [١]: حدثنا أبى، حدثنا ابن أبى عمر قال: قال سفيان: المثانى المئين: البقرة. وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال وبراءة سورة واحدة، قال ابن عباس: ولم يعطهن أحد إلا النبى ﷺ، وأعطى موسى منهن ثنتين، رواه هشيم عن الحجاج عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جبير عنه. وقال الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أوتى النبى ﷺ سبعًا من المثانى الطول، وأوتى موسى عليه السلام ستًّا، فلما ألقى الألواح ارتفع اثنتان وبقيت أربع [٢]، وقال مجاهد: هى السبع الطول، ويقال: هى القرآن العظيم. وقال خصيف عن زياد بن أبى مريم فى قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ قال: أعطيتك سبعة أجزاء آمُرْ، أنهى، وأبشر، وأنذر، وأضرب الأمثال، وأعدد النعم، وأنبئك بنبأ القرآن. رواه ابن جرير [٣] وابن أبى حاتم (والقول الثانى) أنها الفاتحة، وهى سبع آيات. وروى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس، وقال ابن عباس: والبسملة هى الآية السابعة، وقد خصكم الله بها، وبه قال إبراهيم النخعى وعبد الله بن عبيد بن عمير وابن أبى مليكة وشهر بن حوشب والحسن البصرى ومجاهد.

وقال قتادة: ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب وأنهن يثنين فى كل قراءة وفى روايه فى كل ركعة مكتوبة أو تطوع، واختاره ابن جرير، واحتج بالأحاديث الواردة فى ذلك، وقد قدمناها فى فضائل سورة الفاتحة فى أول التفسير ولله الحمد، وقد أورد البخارى [٤] [٥] رحمه الله ههنا حديثين:

(أحدهما) قال: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم، عن أبى سعيد بن المعلى قال: مر بى النبى ﷺ وأنا أصلى فدعانى فلم آته حتى صليت ثم أتيت، فقال: «ما منعك أن تأتينى؟» فقلت: كنت أصلى، فقال: «ألم يقل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج من المسجد» فذهب النبى ﷺ ليخرج فذكرته فقال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته».

(الثانى) قال: حدثنا آدم، حدثنا ابن أبى ذئب، حدثنا المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم»، فهذا نص فى أن الفاتحة السبع المثانى والقرآن العظيم، ولكن لا ينافى وصف غيرها من السبع الطول بذلك، لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافى وصف القرآن بكماله بذلك أيضًا، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣] فهو مثانى من وجه ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم أيضًا، كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى، فأشار إلى مسجده [٦]، والآية نزلت فى مسجد قباء، فلا تنافى، فإن ذكر الشىء لا ينفى ذكر ما عداه إذا اشتركا فى تلك الصفة، والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٢).
(٢) أخرجه النسائي (٥١٩)، أبو داود (١٤٥٩).
(٣) أخرجه الطبري في التفسير (١٤/ ٥٧).
(٤) البخاري برقم (٤٧٠٣).
(٥) البخاري برقم (٤٧٠٤).
(٦) أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٦)، عن عائشة، مسلم برقم (١٣٩٨)، والترمذي برقم (٣٢٣)، من حديث أبي سعيد الخدري.

وقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أى استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية، ومن ههنا ذهب ابن عيينة إلى تفسير الحديث الصحيح [١] «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» إلى أنه يستغنى به عما عداه، وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم فى أول التفسير.

وقال ابن أبي حاتم [٢]: ذكر عن وكيع بن الجراح، حدثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبى رافع صاحب النبى ﷺ قال: ضاف النبى ﷺ ضيف ولم يكن عند النبى ﷺ شىء يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود «يقول لك محمد رسول لله: أسلفنى دقيقًا إلى هلال رجب» قال: لا ، إلا برهن فأتيت النبى ﷺ فأخبرته، فقال: «أما والله إنى لأمين من فى السماء وأمين من فى الأرض، ولئن أسلفنى أو باعنى لأؤدين إليه» فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إلى آخر الآية [طه: ١٣١]، كأنه يعزيه عن الدنيا، وقال العوفى عن ابن عباس ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ قال: نهى الرجل أن يتمنى ما لصاحبه. وقال مجاهد ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ هم الأغنياء.

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

يأمر تعالى نبيه ﷺ بأن يقول للناس: أنه النذير المبين البين النذارة، نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها، وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام. وقوله: ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أى المتحالفين، أى تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم، كقوله تعالى إخبارًا عن قوم صالح أنهم ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ الآية [النمل: ٤٩]، أى نقتلهم ليلًا، قال مجاهد: تقاسموا تحالفوا ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [ابراهيم: ٤٤] ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩] فكأنهم كانوا لا يكذبون بشىء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقتسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيته وأهله. وفى الصحيحين [٣] عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى، وإنى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبه طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب به جئت من الحق.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أى جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٢٧)، من حديث أبي هريرة.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٢٩)، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف.

(٣) البخاري برقم (٦٤٨٢)، ومسلم برقم (٢٢٨٣).

قال البخارى[١] : حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أنبأنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قال: هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبى ظبيان، عن ابن عباس قال: ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قال هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى.

قال ابن أبى حاتم: وروى عن مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم مثل ذلك، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قال: السحر، وقال عكرمة: العضه السحر بلسان قريش تقول للساحرة إنها العاضهة، وقال مجاهد: عضوه أعضاء، قالوا سحر، وقالوا كهانة، وقالوا أساطير الأولين، وقال عطاء: قال بعضهم ساحر، وقالوا مجنون، وقالوا كاهن، فذلك العضين، وكذا روى عن الضحاك وغيره.

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا شرف فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا، فقالوا: وأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقول به، قال: بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: ما هو بكاهن، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر، فتفرقوا عنه بذلك، وأنزل الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أصنافًا ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أولئك النفر الذين قالوا لرسول الله.

وقال عطية العوفى عن ابن عمر فى قوله: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ قال: عن لا إله إلا الله. وقال عبد الرزاق[٢] : أنبأنا الثورى عن ليث هو ابن أبى سليم عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ قال: عن لا إله إلا الله، وقد روى الترمذى وأبو يعلى الموصلى وابن جرير وابن أبى حاتم[٣] من حديث شريك القاضى، عن ليث بن أبى سليم عن بشير بن أبى نهيك، عن أنس عن النبى ﷺ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: عن لا إله إلا الله، ورواه ابن إدريس[٤] عن ليث عن بشير عن أنس موقوفًا.

وقال ابن جرير[٥] : حدثنا أحمد، حدثنا أبو أحمد، حدثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم، قال: قال عبد الله هو ابن مسعود: والذى لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم

---

(١) البخاري برقم (٤٧٠٥).
(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٧).
(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣١٢٧)، والطبري (١٤/ ٦٧)، وانظر ضعيف الترمذي.
(٤) الطبري في التفسير (١٤/ ٦٧).
(٥) الطبري في التفسير (١٤/ ٦٧).

القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم ماذا غرك منى بي؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟

وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين، وقال ابن عيينة عن عملك وعن مالك. وقال ابن أبى حاتم [١]: حدثنا أبى، حدثنا أحمد بن أبى الحوارى، حدثنا يونس الحذاء عن أبى حمزة الشيبانى عن معاذ بن جبل قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه، وعن فتات الطينة بأصبعه، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد أسعد بما آتى الله منك» وقال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] قال: لا يسألهم هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصدع به، وهو مواجهة المشركين به، كما قال ابن عباس: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أى أمضه، وفى رواية ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢] وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن فى الصلاة. وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود: ما زال النبى ﷺ مستخفيًا حتى نزلت ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، فخرج هو وأصحابه. وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ أى بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال الحافظ أبو بكر البزار [٢]: حدثنا يحيى بن محمد بن السكن، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم، عن أنس قال: سمعت أنسًا يقول فى هذه الآية، ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قال: مر رسول الله ﷺ فغمزه بعضهم فجاء جبريل، قال: أحسبه قال: فغمزهم، فوقع فى أجسادهم كهيئة الطعنة حتى ماتوا. وقال محمد بن إسحاق: كان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الأسود بن المطلب أبى زمعة، كان رسول الله ﷺ فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: «اللهم أعم بصره، وأثكله ولده» [٣] ومن بنى زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومن بنى سهم ابن عمرو بن هصيص بن

(١) وأخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء (١٠/ ٣١).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ١٥٠)، برقم (٧١٢٧).
(٣) مرسل حسن: أخرجه ابن جرير (١٤/ ٦٩)، وحَسَّن إسناده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٠).

كعب بن لؤى العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم، ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملكان.. فلما تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝٩٥﴾ إلى قوله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن إسحاق [١]: فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء، أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى. فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه فمات منه حبنًا ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله، وكان أصابه قبل ذلك بسنتين، وهو يجر إزاره، وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلاً له، فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش، وليس بشىء، فانتفض به فقتله، ومر به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف، فوقص على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله منها شوكه فقتلته، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخط قيحًا فقتله.

قال محمد بن إسحاق: حدثنى محمد بن أبى محمد عن رجل، عن ابن عباس قال: كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذى جمعهم، وهكذا روى عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق، عن يزيد عن عروة بطوله، إلا أن سعيدًا يقول: الحارث بن عيطلة، وعكرمة يقول الحارث بن قيس.

قال الزهرى: وصدقا هو الحارث بن قيس، وأمه عيطلة، وكذا روى عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة. وقال الشعبى: كانوا سبعة، والمشهور الأول: وقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع الله معبودًا آخر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝٩٨﴾ أى وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك صدر وضيق فلا يهيدنك ذلك ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التى هى الصلاة، ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝٩٨﴾. كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد [٢]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا معاوية بن صالح عن أبى الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن همّار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره» ورواه أبو داود والنسائى [٣] من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى.

وقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ قال البخارى: قال سالم: الموت، وسالم هذا هو سالم بن عبد الله بن عمر، كما قال ابن جرير [٤]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٤/ ٧٠). (٢) المسند (٢١٩٦٣).
(٣) صحيح: أبو داود برقم (١٢٨٩)، وانظر صحيح أبي داود.
(٤) الطبري في التفسير (١٤/ ٧٤).

عن سفيان، حدثنى طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ قال: الموت، وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره، والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٣-٤٧] وفى الصحيح [١] من حديث الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات، قالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتى عليك لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» فقلت: بأبى وأمى يا رسول الله، فمن؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، وإنى لأرجو له الخير» ويستدل من هذه الآية الكريمة وهى قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتًا، فيصلى بحسب حاله.

كما ثبت فى صحيح البخارى [٢] عن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب» ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين ههنا الموت، كما قدمناه، ولله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها، فإنه جواد كريم.

آخر تفسير سورة الحجر، والحمد لله رب العالمين.

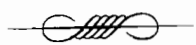

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٩).
(٢) البخاري برقم (١١١٧).